

إختطاف نازي وقنبلة في مشرب البيرة

بعد مرور إثنتي عشرة دقيقة على إلقاء هتلر خطابه السنوي في مساء يوم ٨ تشرين الثاني "الحرس الحزب القديم" ورفاقه في مشرب البيرة في مونيخ إحياءً لإنقلاب عام ١٩٢٣ وكانت خطبة أقصر من المعتاد، انفجرت قنبلة كانت قد وضعت لصق عمود يقع خلف منصّة الخطيب مباشرة فأدى انفلاقها الى مقتل سبعة اشخاص وجرح ثلاثة وستين آخرين. وجاء وقت انفجارها عقب مغادرة هتلر وكل أقطاب الحزب النازي المبنى، بصورة مفاجئة سريعة، في حين جرت العادة في السنوات السالفة أن يكشوا في المشرب يحتسون البيرة ويستعدون مع رفاق الحزب القداماء ذكريات أحداث الإنقلاب الأول. وفي اليوم التالي انفردت صحيفة هتلر الخاصة (فولكشر بيوباختر) بنشر محاولة إغتيال (الزعيم) واتهمت "دائرة الإستخبارات البريطانية" وجمبرلين نفسه بهذا العمل الأثم. وكنت قد دوّنت في مفكرتي ذلك المساء "ان محاولة [الإغتيال] سترصّ الرأي العام رسماً وراء هتلر وتشير شعور الكراهية ضد إنكلترا بدون شك. وأغلبنا يعتقد أنها مؤامرة مزيفة شبيهة بحريق الرايشتاغ".

أي علاقة يمكن ان يكون لدائرة الإستخبارات البريطانية بهذا، خارج تفكير غوبلز الجنوني؟ بوشر حالاً بمحاولة ربط الإثنين فبعد ساعة أو إثنتين من إنفلاق القنبلة في مونيخ أصدر هنريخ هملر رئيس الحرس الأسود والگشتاپو أمراً تلفونياً لأحد مرؤوسيه الصاعدين من الحرس الأسود في (دوسلدورف Duesseldorf) ويدعى فالتر شللنبرگ Walter Schellenberg، بناء على أمر من (الزعيم) أن يعبر الحدود الى هولندا في اليوم التالي ويختطف وكيلين لدائرة الإستخبارات البريطانية كان شللنبرگ متصلاً بهما.

وأدى أمر هملر الى حدث من أغرب أحداث الحرب. كان شللنبرگ مثل زميله (ألفريد ناويوكس) خريج جامعة مثقفاً شريراً، مرّ عليه أكثر من شهر وهو يتصل في هولندا برجلين من الإستخبارات البريطانية وهما النقيب س.باين بست S. Payne Best والرائد ر.ه.ستيفنز. قدّم اليهما نفسه باسم الرائد (شاميل Schammel) الضابط المعادي للنازية من مقر القيادة العامة للقوات المسلحة الألمانية (إتخذ شللنبرگ هذا الإسم، مستعيراً إياه من إسم ضابط حيّ) وروى لهما حكاية مقنعة حول عزم الجنرالات الألمان على إزاحة هتلر، وقال أن مايريد هؤلاء من البريطانيين هو تأكيدات من حكومة لندن بأنها ستتعامل بشرف مع الحكومة المقبلة المعادية للنازيين ولما كان البريطانيين قد سمعا من مصادر أخرى (كما مرّ) عن مؤامرة عسكرية يريد القائمون بها ضمانات مماثلة. فقد اهتمت لندن للأمر وأوصت بتطوير الإتصالات مع "الرائد شاميل" فأمدّه الضابطان بجهاز راديو صغير وجهاز إستقبال وتعاقبت إتصالات عديدة باللاسلكي ووقت لقاءات شخصية في عدد من المدن الهولندية وفي

٧ تشرين الثاني. إجتماع الجانيان في بلدة (فئلو) الهولندية القريبة من الحدود الألمانية. وتمكن الوكيلان البريطانيان من تقديم رسالة غامضة موجهة الى قادة رجال المقاومة الألمانية تذكر بصيغة عامة أساساً لسلم عادل مع نظام حكم معادٍ للنازية. وأتفق أن يأتي (شاميل) في المرة القادمة بأحد هؤلاء الزعماء، بجنرال ألماني يوم الغد في فئلو Venlo للبدء بمفاوضات محددة ثم أرجئت المقابلة الى التاسع منه.

كانت أهداف الجانيين حتى تلك اللحظة واضحةً. البريطانيون يحاولون إيجاد صلة مباشرة مع المؤثرين العسكريين الألمان حتى يمدوا اليهم يد المساعدة ويشجعوهم. وهملر يحاول أن يكتشف عن طريق البريطانيين هويات المؤثرين الألمان، وماهية صلاتهم بإستخبارات العدو. وكان واضحاً من هذا أن هملر وهتلر كان يساورهما شك في بعض الجنرالات فضلاً عن طائفة من أمثال (أوشتر) و(كاناريس) رئيس الإستخبارات العسكرية ومساعدته. إلا أنهما في هذا اليوم الثامن من تشرين الثاني وجدا الحاجة تدعو إلى غرض آخر: خطف (بست وستيفنز) وإتهامها بزرع القنبلة في مشرب البيرة!

الآن يدخل شخص معروف في القصة هو (ألفريد ناويوكس) الذي دبر (الهجوم البولندي) على محطة راديو كلايشتز الألمانية، قائداً لبعثة عشر وكبلاً من وكلاء أمن الكشتايو الشقافة لمساعدة شللنبرگ على تنفيذ عملية الاختطاف، وتم ذلك بأدق ما يمكن: ففي الساعة ٤ عصراً بينما كان شللنبرگ يجلس في شرفة مقهى في (فئلو) يحتسي شراباً مقيبلاً منتظراً مواعده مع (بست وستيفنز) ووصل الوكيلان البريطانيان بسيارة (بويك) ووقفها خلف المقهى فحياهما وابل من الرصاص إنهال عليهما من سيارة للحرس ملئت بأوباش (ناويوكس) وكان مع الضابطين الملازم كلوب Klop أحد ضباط الإستخبارات الهولنديين، الذي دأب على مرافقتها في مقابلتهما مع (شللنبرگ) فسقط مصاباً بجرح مميت. وحشر (بست وستيفنز) في سيارة الحرس الأسود "مثل حزمتين من القش كما أخذوا كلوب الجريح ايضاً (على ما تذكره شللنبرگ فيما بعد). واسرعوا بغنيمتهم الى الحدود الألمانية^(٣١).

وهكذا أعلن هملر في ٢١ تشرين الثاني أن محاولة الإغتيال التي دبرت لهتلر في مشرب البيرة قد تم كشفها. وانها دبرت بإشراف دائرة الإستخبارات البريطانية وقبض على إثنين من زعماء المؤامرة وهما (بست وستيفنز) في اليوم الذي تلا إنفجار القنبلة "على الحدود الألمانية البولندية". أما الذي

٣١- الوثائق الرسمية الهولندية لما بعد الحرب تفيد ان السيارة الإنجليزية التي كان يركبها بست وستيفنز وكلوب اجبرها الألمان على التوجه الى الحدود الألمانية التي تبعد ١٢٥ قدماً فقط. وبدأت حكومة هولندا في اليوم التالي ترسل طلباتها المتتالية الى الحكومة الألمانية بإعادة كلوب وسائق السيارة الهولندية، مع التحقيق الألماني حول حادث خرق الحدود والتعدي على حياض هولندا فلم تحظ بجواب حتى ١٠ أيار، عندما برر هتلر إجتياحه هولندا بأسباب منها حادث (فئلو) الذي برهن على مساهمة الهولنديين مع الإستخبارات البريطانية. ومات كلوب متأثراً بجراحه بعد أيام. وبقي بست وستيفنز خمس سنوات في معسكرات الإعتقال النازية ونجيا (محاكمة مجرمي الحرب... ج١٢، الص ١٢٠٦-١٢٠٨) ووثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج٨، الص ٣٩٥-٣٩٦) (عن روايات حادث فئلو المختلفة: انظر بست: حادث فئلو. وشللنبرگ-المرجع السالف- وهويلر بينيت المرجع السالف. الرواية الهولندية الرسمية موجودة في إجتماع رسمي من ضمن وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٨: كما مر. وهناك مواد أخرى في (قضية الوزراء) في نورمبرگ.

قام بوضع القنبلة المدعو (جورج إلسر Georg Elser) فهو نجار شيوعي من مونيخ. ما كان مني إلا أن كتبت في مفكرتي بأن التفاصيل التي نشرها هملمر عن الجريمة تفوح منها رائحة الكذب "لكن الوقائع التي انتظمتها حقيقية جداً" وإن ما يرمي اليه هملمر وعصابته هو إقناع الشعب الألماني السهل التصديق أن الحكومة البريطانية حاولت ربح الحرب بقتل هتلر وأعوانه الكبار". لقد ظل أمر تدبير حادث القنبلة سراً لم يكشف عنه تماماً ومع أن النجار "إلسر" لم يكن مجنوناً مثل (مارينوس فاندر لويه) المتهم بحرق الرايشتاغ إلا أنه ليس واسع الذكاء، وكان مخلصاً لعمله فأمر بعمل القنبلة وتفجيرها وفخر بذلك وإن لم يلتق بالطبع (ستيفنز وست) قبل المحاولة. على أنه تعرّف بالأخير خلال السنوات الطوال التي قضياها في معسكر إعتقال (ساخسنهاوزن) وهنا روى للإنكليزي حكاية طويلة كثيرة الوقائع - ليست منطقية في بعض المواقف.

قال: أنه كان قد أودع معسكر إعتقال (داخاو) منذ أواسط الصيف بوصفه من أشياع الشيوعيين. وفي أحد أيام تشرين الأول دعي الى مكتب قائد المعسكر حيث تعرّف بشخصين غربيين وتكلما حول ضرورة قتل بعض أتباع الزعيم "الخنونة" بفلق قنبلة في مشرب البيرة بعد إلقاء هتلر خطابه التقليدي في مساء الثامن من تشرين الثاني مباشرة على أثر تركه القاعة. ورسم أن توضع القنبلة على عمود خلف منبر الخطيب ولما كان (إلسر) نجاراً وكهربائياً وسمكياً ماهراً فقد إقترح أن يضطلع هو بالعمل وإن رضي فسيرتب أن أمر إخراجه الى سويسرا وتزويده بمبلغ كبير من المال يكفيه للعيش برخاء هناك وكعربون على جديتهما في الوعد. تعهدا أن يعامل في المعسكر خلال الفترة معاملة طيبة ويعطى طعاماً جيداً وثياباً مدنية ومقداراً كبيراً من السكاكر (لأنه كثير التدخين) ويزود بمضدة وأدوات نجارة. وهناك صنع (إلسر) قنبلة بدائية إلا أنها فعالة مؤقتة الإنفجار بشمانية أيام تعمل على الساعة وعلى طريق القدح في أي وقت بعد ربطها بزربطارية كهربائية وأكد (إلسر) انه أخذ في احدى الليالي في يوم متقدم من أيام تشرين الثاني الى مشرب البيرة وهناك زرع آتته في العمود الحسن الموضع.

وفي مساء ٨ تشرين وفي الوقت المحدد لإنفلاق القنبلة، أخذ مع شريكه الى الحدود السورية وأعطى مبلغاً من المال - والظريف في الأمر أنهما أعطياه صورة (بوست كارت) لمنظر مشرب البيرة الداخلي ويظهر فيها العمود الذي وضع فيه القنبلة وهو مؤشر بعلامة ضرب (x) لكن بدلاً من مساعدته على عبور الحدود. قبض عليه الكشتاپو (لدهشة الرجل البسيط المحدود، الذكاء) وأخذ منه المال (والپوست كارت) واخيراً حمله الكشتاپو على اتهام (بست وستيفنز) في المحاكمة القادمة حيث سيكون محور الإهتمام^(٣٢).

٣٢- قص (إلسر) فيما بعد حكاية مشابهة في (داخاو) على (القس نيموللر). فبنى منذ ذلك الحين إعتقاده الخاص أن الحادث كان بمصادقة هتلر ليزيد من تعلق الناس به ورفع المعنويات الى جانب الحرب. ومن الواجب ان نضيف الى هذا ان كزيفيوس عدو هتلر وهملمر وشللنبرگ اللدود يعتقد - كما شهد في محاكمات نورمبرگ ودون في كتابه- ان (إلسر) حاول فعلاً قتل هتلر وانه لم يشاركه نازي. اما شللنبرگ وهو اقل ثقة فيقول انه مع شكه بهتلر وهملمر وهيدريخ في مبدأ الأمر فقد اقتنع وإستخلص بعد استجواب النجار وبعد قراءة الإفادات التي أخذت منه بعد حفته وتنويمه مغناطيسياً أنها حادثة محاولة إغتيال حقيقية لا شائبة فيها.

إلا أن المحاكمة لم تجر إطلاقاً ونحن نعرف الآن أن هتلر لأسباب يدركها أكثر من غيره لم يجرأ على إجراء المحاكمة، وكذلك نعلم الآن أن (إلسر) قضى مدة في (ساخسنهاوزن) ثم نقل الى (داخاو) ومنح إمتيازات في المعسكر بناءً على أوامر شخصية من هتلر الذي كسب كثيراً من حادثة القنبلة وأنه عومل معاملة إنسانية بقدر ما تحتمله الظروف إلا أن هملر ظل يراقبه الى الأخير. ولم يكن من المناسب الإبقاء على النجار الى ما بعد الحرب ليحكي قصته. فقبل نهايتها أعلن الكشتاپو في ١٦ نيسان ١٩٤٥ أن (جورج إلسر) قد قتل على إثر غارة جوية حليفة قبلها بيوم واحد ونحن نعرف الآن أن الكشتاپو قتلوه^(٣٣).

-٦-

أحاديث هتلر مع قواده

بعد أن نجا من الإغتيال - أو هذا ما أراده أن يبدو، وقضى على تحدي جنرالته له راح يمضي قدماً في خطته للقيام بهجوم واسع في الغرب. وفي ٢٠ تشرين الثاني أصدر أمره التوجيهي المرقم (٨) لإدارة دفعة الحرب. مؤكداً على البقاء في "حالة الإستنفار" "لإستغلال الطقس المناسب حالاً". ووضع الخطط للقضاء على هولندا وبلجيكا ثم بث الشجاعة في النفوس الحائرة ورفعها إلى درجة مناسبة من المعنويات التي كان يراها ضرورية قبيل بدء المعارك الكبرى، ولذلك استدعى قادة الجيوش ورؤساء الأركان الى المستشارية ظهر يوم ٢٣ تشرين الثاني.

وكانت أحاديث على غاية الأهمية تلك التي بادلها قواده العسكريين ويرجع الفضل في وصولها إلينا، اكتشاف الحلفاء بعض الوثائق الخاصة بالقيادة العليا للقوات المسلحة في فلنبرگ Flenburg ووجدت بينها على شكل ملاحظات دوّنها أحد الحاضرين المجهولين^(٣٤).

بدأ هتلر بالقول "إن الغرض من هذا المؤتمر هو تزويدكم بفكرة عن عالم أفكارني الذي يسيّرني في وجه الأحداث المقبلة ولإبلاغكم بقراراتي".

كان ذهنه مملوءً بذكرى الماضي والحاضر والمستقبل وقد تكلم مع الفئة القليلة العدد التي استدعاها بصراحة قاسية وفصاحة بليغة، مقدماً ملخصاً ممتازاً لكل ما مرّ في خياله الخصب المعقّد، ومتنبئاً بدقة تامة بكيفية وقوع الأحداث المقبلة. ومن يسمعه وهو يتحدث يصعب عليه جداً أن لا يتصور بأن هذا

٣٣- عن الروايات المختلفة لحادث القنبلة. انظر بست: المرجع السالف. شللنبرگ: المرجع السالف. هويلر بينيت: المرجع السالف. رايتلنكر Reitinger: رجل الحرس الأسود. كزيفيوس (المرجع السالف). يوميات برلين. هناك أيضاً بعض المواد في نورمبرگ اخذت منها بعض الملاحظات استخدمتها وإن لم اجدها في (مؤامرة النازيين ومحاكمة مجرمي الحرب).

٣٤- نصوص الملاحظات مثبتة في (مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٣، الص ٥٧٢-٥٨٠) وكذلك وثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج٨، الص ٤٣٩-٤٤٦. وثائق نورمبرگ PS-٧٨٩.

الرجل الذي يقبض بيديه على مصير ألمانيا والعالم - قد أصبح مجنوناً خطراً بلا شبهة. " [قال في صدد كفاحه الأول] كنت على أتم الإدراك بالمجرى الذي ستتخذ الأحداث التاريخية. والإرادة الثابتة لإتخاذ القرارات القاسية... وكعامل أخير يجب عليّ أن أذكر إسمي وشخصي بكلّ تواضع باعتباري شخصيّة لا يمكن إستبدالها. لا يمكن أن يوضع مكاني رجل عسكري أو مدنيّ. وقد تتكرر محاولات الإغتيال، وأنا مقتنع بقواي العقلية وبصحة قراري... لم ينجز أحد ما أنجزته... لقد قادت الشعب الألماني إلى أعلى عليين حتى لو كرهتنا الدنيا الآن.... إن مصير الرايخ مرتبط بي وحدي، وسأعمل بهذا الأتجاه".

وراح يعتبر على الجنرالات لشكهم فيه عندما كان يتخذ "القرارات القاسية" في الإنسحاب من عصابة الأمم، وإعلان التجنيد الاجباري. وإحتلال الراين وتحصينه وضمّ النمسا. "إن الاشخاص الذين وضعوا ثقتهم بي هم أقلية ضئيلة". وأشار أثناء وصفه فتوحاته بإزدراء وتهكم لم يسمعه جمبرلين لسوء الحظّ "وكانت الخطوة الثانية بوهيميا وموراخيا وبولندا".

"وكان واضحاً لي من اللحظة الأولى بأني لن أقنع بأراضي السويد الألمانية" ولم تكن إلاّ حلاً جزئياً. فقررت الزحف على بوهيميا وقمت به. ثم تبع ذلك تأسيس المحميّة وبها وضعت الأسس لفتح بولندا، إلاّ أنني لم أكن قد قررت في ذلك الحين، هل سأبدأ أولاً ضدّ الشرق ثم ضد الغرب، أو بالعكس؟ وازاء ضغط الأحداث، لجأنا الى الإبتداء ببولندا. وقد يتهمني أحدهم بأني أريد القتال ثم القتال في الكفاح أرى مصير كل الكائنات الحيّة. لا أحد يستطيع إجتناّب القتال إن لم يشأ أن ينزل الى الدرك الأسفل. إن عدد [الألمان] المتكاثر يحتاج الى مجال حيويّ أكثر. وهدفي هو خلق علاقة عادلة بين عدد الشعب ومجال عيشهم الكافي يجب ان يبدأ القتال من هنا. لا شعب ثمّ يستطيع اجتناب حلّ هذه المشكلة وإلاّ إنهار وإستقر في أسفل السافلين... وفي هذا الوضع لا يمكن أن يكون الذكاء الدقيق بذّي فائدة. والحلّ لا يتم بغير السيف. والشعب الذي يعجز عن تجميع قواه للقتال يجب أن يتفهقر...، إن عيب زعماء ألمانيا السابقين وبضمنهم (بسمارك ومولتكه) هو في رأي هتلر "إفتقارهم الى الصلابة. والحلّ غير ممكن الأ بمهاجمة بلد من البلاد في اللحظة المناسبة" ان الفشل في إدراك هذه الحقيقة جعلت حرب عام ١٩١٤ تجري "على عدة جبهات". وهي لم تقدم حلاً للمشكلة".

"واستمر هتلر يقول] اليوم يكتب الفصل الثاني من هذه التمثيلية. للمرة الأولى بعد سبع وستين سنة لانجندنا نخوض حرباً على جبهتين... لكن لا أحد يدري كم سيدوم هذا الوضع... وأنا أساساً لم أنظّم القوات المسلّحة لتبقى عاطلة ولاتهاجم. إن قرار الهجوم كان دائماً يراود فكري".

وأدى التفكير في نعم الحرب على الجبهة الواحدة بهتلر الى قضية روسيا "لا خطر علينا من روسيا في الوقت الحاضر. فهي ضعيفة لأسباب داخلية عديدة. زد على ذلك ان لدينا معاهدة معها وان كانت المعاهدات باقية بقدر ما تخدم غرضاً. وروسيا ستحافظ على المعاهدة طالما تجد في

المحافظة عليها فائدة... ولديها بدون شك أهداف بعيدة، في مقدمتها تقوية مركزها في البلطيق. في إمكاننا مطاولة روسيا ومعاداتها عندما نتحرر من جبهة الغرب".

أما عن إيطاليا فكل شيء يعتمد على موسوليني "الذي قد يغير موته كل شيء... كما هو الشأن بموت ستالين، لذلك يجلب موت موسوليني أخطاراً علينا. لقد جربت أنا نفسي مؤخراً السهولة التي يطاح بحياة السياسي" ولم يفكر هتلر أن الولايات المتحدة خطرة في الوقت الحاضر "بسبب قوانين حيادها" ولم تصل مساعداتها إلى الحلفاء إلى حد كبير يخشى منه على أن الزمن يعمل لصالح الحلفاء. "واللحظة الآن هي مناسبة وفي غضون الأشهر الستة القادمة لن تسنح فرصة مثلها" ولذلك: "لن يتغير قراري. وسأهاجم فرنسا وإنجلترا بأسرع فرصة مناسبة. وخرق حياد بلجيكا وهولندا أمر لا أهمية له. ولن يلومنا أحد على ذلك عندما نتنصر. ولن نبرر خرقنا الحياد بالشكل السخيف الذي فعلناه في ١٩١٤".

وابلغ قواده أن الهجوم في الغرب يعني "نهاية الحرب العالمية، ليس كعمل واحد فقط. انها لا تتعلق بعمل واحد فقط بل بوجود أو عدم وجود الوطن". ثم اندفع يخطب:

"إن روح عظمائنا في التاريخ يجب أن تشجعنا جميعاً. إن القدر لا يطلب منا أكثر مما إطلب من رجال التاريخ الألماني. وسأظل طول حياتي أفكر في إنتصار شعبي ولن يصدني أي شيء وسأبذل كل من يقف في وجهي... اني أريد القضاء على العدو قضاءً مبرماً!"

كانت خطبة رعنا، ولم يُعرف أن رفع جنرال واحد صوته للإعراب عن شك يعثور كل قادة العسكر الألمان حول نجاح هجوم غربي في هذا الوقت، ولا للإعتراض على مفاجأة الهجوم على بلجيكا وهولندا لمكارم الأخلاق أو الأعراف الدولية تلكما الدولتان اللتان ضمننت ألمانيا حيادهما. وبحسب رواية بعض القادة الذين كانوا حاضرين. كانت ملاحظات هتلر حول الروح الضعيفة التي تلازم كبار القادة في الجيش وهيئات الأركان، أقوى بكثير من الأحاديث السالفة.

وفي الساعة ٦ من مساء اليوم نفسه بعث إليه الحرب النازي بطلب براوختش وهالدر مرة أخرى. وألقى على الأول منهما محاضرة عنيفة عن "روح زوسن" بينما أبقى رئيس هيئة الأركان ينتظر خارج مكتبه كأحد الصيبيان الذين إرتكبوا عملاً سيئاً. واتهم هتلر "قيادة الجيش العليا" بشيوع روح "الإندحارية" فيها وأن أعضاء أركان حرب هالدر "يقفون موقفاً عنيداً لا يدعهم يسيرون مع هتلر بإنسجام" فعرض براوختش المدحور إستقالته كما بين بعد ذلك في محاكمات نورمبرگ إلا أن هتلر رفضها وذكره بلهجة حادة - كما يذكر القائد العام - "بأن عليه إنجاز واجبه والتزاماته كأبي جندي آخر". وفي تلك الليلة دون هالدر في يومياته عبارة واحدة بطريقتة الإختزال "يوم أزمة"^(٣٥).

كان الثالث والعشرون من تشرين الأول ١٩٣٩، يوماً مرحلياً من عدة وجوه. ففيه تعين قرار هتلر

٣٥- يوميات هالدر - ٢٣ تشرين الثاني وحاشيته التي أضافها فيما بعد. شهادة براوختش في نورمبرگ (محاكمات مجرمي الحرب الكبار) ج ٢٠، ص ٥٧٥.

النهائي للتغلب على الجيش الذي كان في الحرب العالمية الأولى قد نحى القيصر فلهلم الثاني جانبا. وفيه إضطلع بالسلطة السياسية العليا في ألمانيا فضلاً عن السلطة العسكرية. ومن ذلك اليوم فصاعداً بات نائب العريف النمساوي السابق يعتبر أحكامه السياسية والعسكرية هي العليا، وقراراته فوق قرارات جنرالاته وأبى أن يصغي الى نصيحهم أو يسمح بانتقاداتهم والنتيجة كانت كارثة للجميع. قال براوختش لمحكمة نورمبرگ في حوادث يوم ٢٣ تشرين الثاني: "لقد شقّ برزخ سدّ فيما بعد، إلا أنه لم يلتحم تماماً أبداً".

زد على هذا أن خطبة هذا اليوم الخريفي ثببت عزم هالدر وبراوختش (مهما كان عزمهما فاتراً) على محاولة ازاحة هتلر. لقد انذرهم بأنه سيبيد كل من يقف في سبيله ويقول (هالدر) ان الدكتاتور النازي اضاف الى حديثه "اعتزامه على قمع اي معارضة له تأتي من هيئة الأركان بأقصى ما يمكن". ولم يعد هالدر في هذه اللحظة بذلك الرجل الذي يستطيع تحمّل هذا التهديد الفظيع. وحين ذهب الجنرال توماس إليه بعد أربعة أيام (٢٧ تشرين الثاني) بإيعاز من (شاخ وپويتز) وطالبه باستمرار الضغط على براوختش للقيام بعمل ضد هتلر (ذكر هالدر أن توماس قال له "يجب أن يزاح هتلر!") ماكان من رئيس هيئة الأركان إلا وراح يعدّد له "المصاعب" وقال له أنه غير متأكد الى حدّ الآن ان براوختش "سيساهم مساهمة فعالة في إنقلاب عسكري" (٣٦).

بعد ذلك بأيام قلائل أدلى (هالدر) بأقنع الأدلة التي تحول دون المضي في خطط الخلاص من الدكتاتور النازي. وقد سجلها هاسل في يومياته، وكتب: "إن المرء لا يمكن ان يثور وهو يواجه العدو" واضاف نقلاً عن هالدر أيضاً "علينا أن نعطي هذه الفرصة الأخيرة لإنقاذ الشعب الألماني من عبودية الرأسمال الإنجليزي... ليس يوجد شخصية عظيمة تحت اليد... ان المعارضة لم تنضج نضوجاً كافياً... نحن لسنا متأكدين من اتجاهات الضباط الصغار". وناشد (هاسل) بنفسه الأميرال كاناريس أحد زعماء المؤامرة الأول للمضي في الخطة فلم يلتق أذناً صاغية "لقد يئس من جدوى المقاومة التي يملكها الجنرالات". وعقّب يقول في يومياته ٣٠ تشرين الثاني: "ان كاناريس يرى من العبث القيام بأي محاولة في هذا الإتجاه" وبعدها بقليل كتب يقول: "هالدر وبراوختش ليسا إلا خدماً لهتلر" (٣٧).

٣٦- إفادة هالدر في نورمبرگ (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ملحق (ب) الص ١٥٦٩-١٥٧٠ انظر ايضاً: الجنرال توماس: المرجع السالف.

٣٧- هاسل: المرجع السالف. الص ٩٣-٩٤ و١٧٢.

الإرهاب النازي في بولندا

-المرحلة الأولى-

لم تمرّ أيام كثيرة على مهاجمة ألمانيا بولندا، إلاّ وراحت يوميتي تمثليء بتسجيلات عن وقائع الإرهاب النازي في الأرض المحتلة. وسيعلم المرء فيما بعد أن مذكرات كثيرة أخرى ملئت بمثل هذه الوقائع أيضاً. وقد سجلّ (هاسل) في ١٩ تشرين الأول سماعه "بالفظائع الوحشية التي يرتكبها الحرس الأسود، وبخاصة ازاء اليهود" وبعدها بقليل سجل قصة رواها له ملاك ألمانيّ في إقليم (پوزن): "آخر ما رآه هناك، قائد حزبٍ منطقيّ سكر حتى ثمل، فأمر بفتح باب السجن: وأردى بالرصاص على خمس عاهرات، وحاول موقعة إثنيتين^(٣٨)".

في ١٨ تشرين الأول كتب هالدر في مذكراته، النقاط الرئيسية التي وردت في حديثه مع الجنرال ادوارد فاگنر Eduard Wagner مدير الميرة والذخيرة في الجيش الذي كان قد بحث مع هتلر حول مستقبل بولندا. ذلك المستقبل الذي سيكون قائماً:

"نحن لانتوي إعادة بناء بولندا... لن تكون دولة نموذجية بالمستوى الألماني. الأنتلجنسيا البولنديون يجب ان يحال بينهم وبين أن يكونوا طبقة حاكمة. يجب أن يحافظ على مستوى معيشة منخفض... عبيد قليلا الكلفة..."

يجب أن يخلق حالة من عدم تنظيم عامة! إن الرايخ سيمنح الحاكم العام الوسائل لتنفيذ هذه الخطة الشيطانية!"

ولقد فعلها الرايخ.

يمكننا الآن أن نعرض شيئاً مختصراً عن بداية الإرهاب النازي في بولندا، مستخلصاً من الوثائق الألمانية المستولى عليها والمعروضة في مختلف محاكمات نورمبرگ كدلائل إثبات. ولم تكن إلاّ طلائع للأعمال السوداء الوحشية التي قدّر أن يمارسها الألمان فيما بعد على جميع الشعوب الخاضعة لهم ولكنها ظلت من البداية الى النهاية أنكى وأشدّ هولاً في بولندا مما كانت في أي بلد آخر. فهنا بلغت بريرة النازيين ذروة لاتصدق.

قبل الشروع في الهجوم على بولندا ذكر هتلر جنرالاته في مؤتمر (أوبرسالزبرگ) ٢٢ آب بأن اشياء ستحدث " لن تكون ملائمة لأذواق الجنرالات الألمان" وانذرهم بأن عليهم "الآ يتدخلوا في هذه الأمور ويحصرها إهتمامهم بواجباتهم العسكرية". وكان يعرف ماذا يقول. وانتالت على المؤلف من

برلين وپولندا تقارير لاتحصى عن مذابح النازيين. وكذلك على الجنرالات. وفي ١٠ أيلول والمعركة في
بولندا على أشدها كتب هالدنر في يومياته ما إشتهر أمره وذاع في كل برلين. قال: أخذ بعض رجال
الحرس الأسود الأوباش المتسبين الى كتيبة المدفعية، خمسين يهودياً وسخروهم طوال اليوم في اصلاح
جسر ثم أدخلوهم كنيسة و"ذبحوهم عن بكرة أبيهم" وكتب هالدنر: حتى (الجنرال فون كوخلر) قائد
الجيش الثالث، الذي كانت ستثور به النفس أحياناً فيما بعد، أبى المصادقة على الأحكام الخفيفة
التي صدرت بحق القتلة من المجلس العسكري (سنة سجن واحدة لكل منهم) محتجاً بأن العقوبة
خفيفة جداً. إلا أن قائد الجيش براوختش ألغى العقوبة برمتها بعد أن تدخل هملر، بحجة القتلة هم
من المشمولين بالحصانة العسكرية العامة".

يعتبر الجنرالات الألمان أنفسهم مسيحيين أتقياً، ولذلك وجدوا انفسهم في موقف شديد الحرجة.
وفي ١٢ أيلول جرى في قطار الزعيم الخاص إجتماع بين (كايتل) والأميرال (كاناريس) إحتج فيه
الأخير على الفظائع المرتكبة في بولندا، فأجاب الإمعة رئيس القيادة العامة للقوات المسلحة بحدة "أن
(الزعيم) قد قرر شيئاً بهذا الخصوص" وإذا كان "الجيش لا يريد المساهمة في مثل هذه الأمور فعليه أن
يرضى برجال الحرس الأسود والگشتاپو كمنافسين له" أعني عليه أن يوافق على وجود مفوضية من
للحرس الأسود في كل وحدة عسكرية "ليقوموا بعمليات الإبادة".

"[كتب كاناريس في مذكراته التي عرضت في نورمبرگ] نوّهت للجنرال كايتهل بأنني على إطلاع
بالخطط الواسعة لعمليات القتل في بولندا وأن الإبادة ستشمل بصورة خاصّة طبقات النبلاء ورجال
الدين وسيكون الجيش الألماني هو المعلوم أمام العالم على هذه الأعمال.^(٣٩)

وكان هملر ماكراً في جعل الجنرالات يحملون قسطاً من المسؤولية. ففي ١٩ أيلول قام هيدريخ
هملر رئيس مساعديه بزيارة مقر القيادة العليا وأبلغ الجنرال فاكنر بخطط الحرس الأسود لتنظيف
"وكنس" اليهود [الپولنديين] والمثقفين ورجال الدين والنبلاء". ودون هالدنر ردّ الفعل الذي أحدثه فيه
هذا المخطط بعد أن ابلغه به (فاكنر) رسمياً فكتب يقول: "الجيش يصرّ على أن "عملية الكنس" يجب
أن تؤجل حتى تنسحب قطعاته ويتم تسليم البلاد الى السلطات المدينة في أوائل كانون الأول".

هذه الفقرة الصغيرة التي دوّنها رئيس الأركان تقوم بمثابة مفتاح لفهم أخلاق الجنرالات الألمان.
انهم لن يعارضوا عملية "التنظيف" معارضة جدية - اعني إبادة يهود بولندا ومثقفها ورجال دينها
ونبلاؤها بل سيطلبون "إرجاءها" فحسب حتى يخرجوا من بولندا، وبذلك يتخلصون من المسؤولية.
وبطبيعة الحال يجب ان يؤخذ الرأي العام الأجنبي بنظر الإعتبار كما كتب هالدنر في مذكراته بعدها
بيوم واحد عقب حديثه طويل مع براوختش حول "التنظيف" في بولندا. قال: "لن يحدث أي شيء، قد
يتيح الفرصة للبلاد الأجنبية لشنّ حملة دعاية ضدّ الفظائع من أي نوع كان مبنية على مثل هذه

٣٩- من مذكرات أمير البحر كاناريس (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج ٥، ص ٧٦٩ (وثائق نورمبرگ ٣٠٤٧ PS).

الأحداث. أرجال الدين الكاثوليك؟ شيء غير عملي هذه المرة".

في اليوم التالي (٢١ أيلول). أرسل (هيدريخ) الى قيادة الجيش العامة نسخة من أولى خطط تنظيمه". كخطوة أولى يجب أن يجمع اليهود كلهم في المدن (حيث يسهل حصرهم لأجل التصفية) وصرح يقول "ان الحل النهائي" سيقترض له وقت طويل لإكماله ويجب ان يبقى "في طي الكتمان الشديد"، لكن لم يشك أحد من الجنرالات الذين قرأوا هذه المذكرة السرية بأن "الحل النهائي" معناه الإبادة^(٤٠). وعندما حان الوقت لتنفيذه خلال سنتين من تاريخه أصبح هذا المصطلح أشنع إسم يتبادله موظفو الألمان الكبار لتغطية أفضع جريمة ارتكبتها النازيون في وقت الحرب على الإطلاق.

بعد أن اخذت روسيا السوفيتية حصتها من بولندا الشرقية وضمت ألمانيا الأقاليم التي كانت تعود لها في السابق مع أراض إضافية أخرى رسمياً وبموجب مرسوم أصدره الزعيم في ١٢ تشرين الأول عيّن هانس فرانك حاكماً عاماً لما بقي من البلاد ونصب (سييس انكوارت) الكوزلنك النمساوي نائباً له. كان فرانك نموذجاً كاملاً للمثقف النازي الوغد. التحق بالحزب في ١٩٢٧ بعد تخرجه في كلية الحقوق مباشرة، واشتهر حالاً بوصفه المستشار القانوني للحركة. كان شخصاً نشيطاً حاضر البديهة كثير التتبع لا في القانون وحده بل في كل ميادين الأدب، شديد التعلق بالفن وبخاصة في الموسيقى. واصبح حجة قانونيه للحزب بعد أن تولى النازيون الحكم، وعيّن أول مرة وزيراً للعدل في بروسيا. ثم وزيراً للرايخ بلا وزارة. ورئيساً لأكاديمية القانون ونقيباً للمحامين. رجل قاتم البشرية خفيف الحركة وأب لحمسة أطفال كان ذكاؤه وثقافته قد غلبا بعض الشيء على تعصبه البربري ولذلك بدا في إختياره لمنصبه هذا وكأنه أقل المحيطين بهتلاً شراً وكرهاً. لكن خلف هذا المظهر المهذب كان يختفي قاتل صخري القلب. إن مذكراته التي تبلغ إثنين وأربعين مجلداً والتي دون بها وقائع حياته وأعماله، من ميرزات في محاكمات نورمبرگ كانت^(٤١) واحدة من أشنع الوثائق المفزعنة التي تمخضت بها دنيا النازية السوداء. انها تصور مؤلفها رجلاً قاسياً متعطشاً للدماء جامد العاطفة متبلد الإحساس. ويبدو أنه كان أميناً لم يغفل رواية اي واقعة من اعماله الشنعاء او تدوين اي قول بذيء نطق به.

صرح بعد يوم واحد من تسلمه وظيفته "أن البولنديين سيكونون عبيداً للرايخ الألماني" وعندما سمع مرة بأن (نيوراث) حامي بوهيميا قد علّق إعلانات تذيع نبأ تنفيذ حكم الموت بسبعة من طلاب الجامعة الچيك، قال لأحد الصحفيين النازيين معقّباً "لو خطر ببالي أن أمر بتعليق إعلانات عن كل سبعة من البولنديين يرمون بالرصاص فلن يكفيني كل غابات بولندا لعمل ورق لها^(٤٢)، وأوكل لهم

٤٠- (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج٦، الص ٩٧-١٠١. (وثائق نورمبرگ ٣٣٦٣-PS).

٤١- وجدها في شهر أيار ١٩٤٥ الملازم والترشتاين من الجيش السابع الأمريكي في شقة (فرانك) في أوتيل بركهوف قرب نيوهاوس- بياقاريا.

٤٢- "محاكمات مجرمي الحرب الكبار" ج١، ص ٢٩٧.

ولهيدريخ بأمر من هتلر - مهمّة تصفية اليهود. وكان فرانك يتولى الى جانب إعتصار القوات والأرزاق وعمل السخرة من بولندا، أمر القضاء على الطبقة المثقفة في البلاد. وللنازيين إسم اصطلاحى جميل لهذا العملية (تدابير التهذئة الإستثنائية Asserordenliche Befriedigungsaktion) أو "تدابير أب" كما عرفت فيما بعد. وقد اقتضى وقت طويل لفرانك حتى يقوم بتحقيقها عملياً، لم يبدأ بها إلا في أواخر الربيع التالي عندما طغت أخبار الهجوم في الجبهة الغربية على أنباء بولندا واسترعت إنتباه العالم، وميجي ٣٠ أيار أظهرت مذكراته، بأنه فخر في حديث خاص مع ضباط شرطته بالتقدم الحسن الذي حققه، بإزهاق أرواح بضعة آلاف من المثقفين البولنديين أو يقرب إزهاقها. وناشدهم بقوله "أطلب منكم ايها السادة أن تلجأوا إلى أقصى الإجراءات الممكنة لمعاونتنا في هذه المهمّة. وقال لهم بشكل سرّي بأن هذه هي "تعليمات الزعيم" الذي اعرب عن أوامره بهذه العبارة: "الرجال الذين يتوسم فيهم الزعامة والقيادة في بولندا يجب أن تتم تصفيتهم هم ومن يلحق بهم... يجب أن يصفّوا بدورهم ولا حاجة تدعو إلى القاء هذا العبء على الرايخ... لا ضرورة لإرسال هذه العناصر الى معسكرات الإعتقال في الرايخ. سيزاحون عن الطريق ها هنا في بولندا"^(٤٣).

اشار فرانك في مذكراته الى أن رئيس شرطة الأمن قدم أثناء الإجتماع تقريراً يبشّر بتقدم. وقال أن حوالي ألفي رجل ويضع مئات من النساء قد أُلقي القبض عليهم "في بداية العمل بمشروع التهذئة الإستثنائية" وقد صدر "حكم فوراً" على معظمهم (وهذا تعبير نازي يقصد به إزهاق الروح)، وانه بوشر بجمع الطبقة الثانية من المثقفين "للحكم الفوري". هناك حوالي (٣٥٠٠) مثقف من أخطر الانتلجنسيا البولندية يجب أن نتولّى أمرهم^(٤٤). ولم يهمل فرانك اليهود، وان كان الكشتاپو قد انتزع المهمة المباشرة في التصفية منه. مذكراته ملأى بأفكاره وإنجازاته في الموضوع. وتسجّل في ١٧ تشرين الأول ١٩٤٠ خطبة في إجتماع نازي في بولندا لخص فيها مجهودات سنته الأولى.

"رفاقي الاعزة... إنني لأستطيع استئصال كلّ اليهود والقمل في سنة واحدة [واشار الى ان المجتمعين "إلتذوا" لهذه العبارة] لكن سأحقق هذا بمرور الزمن وبمساعدتكم^(٤٥)".

وقبل عيد الميلاد بأسبوعين (١٩٤٠) ختم إجتماع الوزراء برأسته في كراكاو مقره بقوله: "بقدر مايتعلق الأمر باليهود أريد أن اقول لكم بكل صراحة: يجب التخلص منهم بأي كيفية... أيها السادة أرى من واجبي أن أطلب منكم التجرد من كل مشاعر الرحمة. علينا أن نبين لليهود إبادة تامة. وأقرّ أنه يصعب "القضاء على ثلاثة ملايين ونصف المليون من اليهود في (الحكومة العامة) برمبيهم بالرصاص أو تسميمهم، لكن يمكن إتخاذ تدابير من شأنها أن تؤدى الى القضاء عليهم جميعاً

٤٣- المرجع السالف: ج٧، الص ٤٦٨-٤٦٩.

٤٤- المرجع السالف: ج٢٩، الص ٤٤٧-٤٤٨.

٤٥- المرجع السالف: ج٤، ص٨٩١. (وثائق نورمبرگ ٢٢٣٣ - CPS).

بشكل ما "فكانت نبوءة دقيقة" (٤٦).

بدأت عملية إخراج اليهود والبولنديين من منازلهم التي سكنوها هم وأسرههم أجيالاً بعد إنتهاء القتال مباشرة. وفي ٧ تشرين الثاني، وبعد إلقاء خطبة الرايخشتاغ السلمية بيوم واحد عيّن هتلر، هملر رئيساً لمنظمة جديدة اطلق عليها (مفوضية الرايخ لتقوية الروح القومية الألمانية) أو اختصاراً (R.K.F.D.V) ومهمتها تنفيذ عمليات تهجير البولنديين واليهود أولاً من الأقاليم البولندية الملحقة رأساً بألمانيا وإسكان الألمان (الفولكرز دويتج) في محلهم والآخرين هم الألمان الذين يتمتعون بجنسية أجنبية ومن الذين أخذوا يتدفقون الى الداخل من أراضي البلطيق المهدة وبعض الأصقاع البولندية البعيدة. كان (هالدر) قد سمع بالخطة قبل أسبوعين وذكر في يومياته "من كل ألماني ينتقل الى هذه الأراضي يهجر شخصان الى بولندا في مكانه".

في ٩ تشرين الأول، بعد إنقضاء يومين عن تسلّمه آخر وظائفه هذه، أعلن هملر أن ٥٥٠٠٠٠ من أصل ٦٥٠٠٠٠ يهودي يسكن في الأقاليم الملحقة مع كلّ البولنديين الذين لا يصلحون "للإستيعاب" سيرحلون إلى أراضي (الحكومة العامة) شرقي الثستولا. وفي خلال سنة واحدة إقتلع ١٢٠٠٠٠٠ بولندي و٣٠٠٠٠٠ يهودي ورحّلوا الى الشرق، ولم يؤت الى مناطقهم بأكثر من ٤٩٧٠٠٠ ألماني، وهو أفضل من النسبة التي نوّه بها هالدر ثلاثة بولنديين مقابل ألماني واحد يسكن في مكانهم.

كان شتاء ١٩٣٩-١٩٤٠ قاسياً على غير المؤلف كما يذكر المؤلف وكانت الثلوج تتساقط مداراً وبكميات هائلة. وكانت عملية "الإسكان المحدّد" تجري في درجة الصفر المئوية، وأثناء عواصف ثلجية في كثير من الأحيان. وقد أزهقت من أرواح البولنديين واليهود أكثر مما أزهقته مشائخ النازي ورماسهم ويتمكن الإقتباس من هملر بوصفه خير مرجع. فقد وجّه كلمة الى ضباط حرس الصاعقة (Leibatandarte s.s) في الصيف التالي بعد سقوط فرنسا أتى فيها الى المقارنة بين التهجير الذي قام به رجاله في الشرق وبين ذلك الذي شرع فيه أعوانه في الغرب.

"[لقد] حدث في بولندا، في طقس يقل عن أربعين درجة تحت الصفر، أن نقلنا آلافاً عشرات الألوف بل مئات الألوف وبلغت حميتنا الحد الذي اضطرنا الى قتل الألوف من وجهاء البولنديين (من الضروري ان تسمعوا هذا، وعليكم أيضاً ان تنسوه فوراً).

إيها السادة... انه لأسهل كثيراً خوض معركة حربية في سرية من إخضاع أناس متعبيين ذوي مستوى حضاريّ متدن، أو تنفيذ أحكام الموت أو إبعاد السكان أو تهجير النساء الباقيات الهستيريات (٤٧).

في ٢١ شباط ١٩٤٠، قام ريشارد غلوكس Richard Gluecks الزعيم الأعلى في الحرس الأسود، ورئيس هيئة التفتيش لمعسكرات الإعتقال بجولة إستكشاف قرب (كراكاو) وبنتيجة جولته أبلغ هملر

٤٦- المرجع السالف الص ٨٩١-٨٩٢.

٤٧- المرجع السالف الص ٥٥٣-٥٥٤.

بأنه وجد "موقعاً مناسباً" لـ (معسكر ومحجر) جديد في (أوشويتز Auschwitz) وهي بلدة متروكة مهملة تحيط بها المستنقعات يقطنها زهاء إثنتي عشرة ألف نسمة، يوجد فيها بعض المصانع الى جانب ثكنات قديمة لسلاح الفرسان النمساوي. فبوشر بالعمل فوراً وتم افتتاح (أوشويتز) في ١٤ حزيران بصورة رسمية، بوصفه معسكر اعتقال للموقوفين السياسيين البولنديين الذين يميزهم الألمان بمعاملة خاصة. وقدر له أن يصبح في فترة وجيزة موضعاً لإرتكاب اهول الجرائم. يفوق كل تصور. وفي الوقت عينه اكتشفت شركة (فاربن) وهي الترسن الكيماي العظيم أن "أوشويتز" موقع مناسب لتأسيس مصنع لتكرير النفط الصناعي وصنع المطاط، فتكاليف بناء المصنع؛ رخيصة هناك، كما أن الإنتفاع بعمل السخرة الرخيص مضمون لإدارة العمل.

وارسل الى معسكر اعتقال (أوشويتز) في صيف ١٩٤٠ عصابة من شرّ ما خلق الله من الحرس الأسود للقيام بالإشراف عليه، وإمداد شركة (فاربن) بعمل السخرة. وكان بين هذه الصفوة المنتقاة (جوزف كرامر Josef Kramer) الذي عرفه الرأي العام البريطاني فيما بعد باسم "سفّاح بيلسن Belsen" و(رودولف فرانز هويس Rudolf Franz Hoess) وهو قاتل محكوم قضى في السجن خمسة أعوام وأنفق معظم سنوات شبابه سجيناً ثم سجاناً وتباهى في ١٩٤٦ (وكان له من العمر ٤٦ عاماً) أمام محكمة نورمبرگ، بأنه أشرف في أوشويتز على إحراق مليونين ونصف مليون إنسان وليس من ضمنها نصف مليون آخر تركوا "ليموتوا جوعاً".

سرعان ماقدّر (لأوشويتز) أن يكون أشهر معسكر للإبادة Vernichtungslager، وهذا هو الفرق بينه وبين معسكرات الإعتقال الأخرى إذ لم ينج من برائن الموت إلا القليل من نزلته وكان للأمر دلالتة الصارخة لدى الألمان وبخاصة أولئك الألمان المحترمين، ان تقوم هذه الشركة الشهيرة المعروفة عالمياً بمدرائها الذين تمتعوا بالإستقامة وعرفوا بالنزاهة التجارية وبمخافة الله جميعاً، بإختيار معسكر الموت هذا لإستثمار موقعه المناسب في أعمال تدرّ أرباحاً عليها.

-٨-

احتكاك بين الدكتاتورين

أخذ محور برلين-روما يصرّ صرير الصدا. في أول خريف من الحرب. وتُبودلت بين الجانبين الردود الحادة على عدة مستويات، وفي خلاقات عديدة: عدم قيام الألمان بإخلاء جنوب التيرول الإيطالي من الرعايا الألمان كما كان متفقاً عليه في حزيران الفائت وتقايس ألمانيا عن إمداد إيطاليا بمليون طن من الفحم شهرياً وإستمرار تجاهل الإيطاليين الحصار البريطاني وعدم تجهيز ألمانيا بالمواد الأولية التي كانت تحصل عليها إيطاليا من خلال الحصار وتنامي التجارة الإيطالية مع بريطانيا وفرنسا وبضمنها

بيع مواد حربية منها. وأخيراً ازدياد كره تشيانو للألمان. وكان موسوليني كالعادة متذبذباً. وسجّل تشانو تردده في يومياته. وفي ٩ تشرين الثاني تعنّى موسوليني في تنظيم برقية الى هتلر يهنئه بخلاصه من حادث الإغتيال. فكتب تشيانو: "أرادها [اي البرقية] أن تكون حارة، لكن ليست شديدة الحرارة، لأنه كان يرى أنه لم يشعر إيطالي واحد بالغبطة لنجاة هتلر من الموت - والدوتشي أقلهم في هذا. ٢٠ تشرين الثاني... بالنسبة إلى موسوليني كان فكرة شنّ هتلر حرباً أمراً لا يَحتملُه، وأساء من ذلك أن يريح تلك الحرب".

راح الدوتشي بعد عيد الميلاد بيوم واحد، يعرب عن "أمنيته في إندحار ألماني". وأمر تشيانو أن يبلغ بلجيكا وهولندا سراً بأن الهجوم عليها سيتمّ وشيكاً،^(٤٨) ولكن بمجيء عيد رأس السنة بات موسوليني يتكلم عن دخوله الحرب الى جانب هتلر.

والسبب الرئيس لإحتكاك دولتي المحور، هو سياسة ألمانيا المساندة لروسيا. في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ هاجم الجيش الأحمر السوفيتي فنلندا. ووجد هتلر نفسه في وضع ذليل مزرٍ للغاية. فبعد أن طُرد من البلطيق وهو الثمن الذي دفعه لميثاقه مع ستالين وبعد أن أضطر على جناح السرعة الى إخلاء الأسر الألمانية التي كانت تعيش في تلك الدول قروناً متعاقبةً. عليه الآن مسابرة روسيا في هجومها المفاجيء على الدولة الصغيرة التي تربطها بألمانيا وشائج قوية والتي أنتزع إستقلالها قسراً من الإتحاد السوفياتي وثبت كيائها المعادي للشيوعية بتدخل القوات النظامية الألمانية في ١٩١٨^(٤٩). فكانت جريمة مرة نزلت في بلعوم هتلر كالسّم. وأرسلت تعليمات مشددة إلى البعثات الدبلوماسية الألمانية في الخارج وإلى الصحافة الألمانية والإذاعة لمساندة التدخل الروسي واجتناب الإعراب عن أية مشاعر عطف على الفنلدين.

وكانت هذه آخر قضمير يوضع على كاهل موسوليني، فنغذ صبره، وكان عليه ان يعالج تظاهرات معادية للألمان تفجرت في كل أنحاء إيطاليا، ومهما يكن فانه قام في ٣ كانون الثاني بنفث كل مايعتمل في صدره بكتاب مطول الى الزعيم. لم يكتب مثله كتاباً من قبل بمثل هذه الصرامة ولن يكتب من بعده. وكان فيه الدوتشي عظيم الوضوح، كثير الاستعداد لتقديم النصح العاتب الشبيه بالتعزير.

قال أنه "متأكد تماماً" بأن ألمانيا لا تستطيع "إرغام فرنسا وإنجلترا أو التفريق بينهما وإن

٤٨- أوصل تشانو الإنذار الى السفير البلجيكي في روما بتاريخ ٢ كانون الثاني. ونوّه بذلك في يومياته. بالنسبة الى فايسيكير فهو يروي أن الألمان افلحوا في حل رموز برقيتين بالجفرة صادرتين من السفير الى بروكسل حاويتين الإنذار الإيطالي. (وثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج٨، ص٦٨٣ - هامش).

٤٩- هذه الحادثة التالية تكاد تكون غير معروفة إلا من القليلين. وهي من مطويات التاريخ: في ٩ تشرين الأول ١٩١٨ اجتمع الدايت الفنلندي يحدوه الايمان بانتصار الألمان في الحرب وانتخب بأغلبية ٧٥ صوتاً مقابل ٢٥ صوتاً الأمير فردريك كارل أوف هس ملكاً مقبلاً لفنلندا إلا أن إنتصار الحلفاء بعد شهر من حكم على هذا القرار العجيب بالموت.

ساعدتها إيطاليا. وإن الإعتقاد بذلك وهمٌ وخداعٌ للنفس. إن الولايات المتحدة لن تسمح بهزيمة الديمقراطيات التامة". ولهذا وبعد أن ضمن هتلر حدوده الشرقية، هل كان من الضروريّ "المخاطرة بالكلّ" -ومن ضمن الكلّ النظام نفسه- والتضحية بزهرة الجليل الألمانيّ "لمحاولة دحرها؟ والسلم يمكن الوصول إليه اذا سمحت ألمانيا بكينونة "دولة بولندية متواضعة منزوعة السلاح خالصة القومية". إلاّ اذا كنتَ عاقد العزم على الإستمرار في الحرب حتى النفس الأخير" واضاف يقول "أعتقد أن إيجاد دولة بولندية... سيكون عنصراً ينهي الحرب ويخلق ظروفاً صالحةً للسلم".

على أن صفقة ألمانيا مع روسيا هي أهمّ ما أشغل بال الدكتاتور الإيطالي.

"لقد كسبت روسيا من الحرب دون أن تضرب ضربة واحدة. واقتطعت حصة من بولندا واستحوذت على البلطيق، لكنني أنا الثوري بالولادة أقول لك انك لاتستطيع التضحية بمباديء ثورتك على طول الخط في سبيل الضرورة التاكتيكية التي يستدعيها موقف سياسيّ معين... ومن واجبي أن أضيف على هذا بأن خطوة أخرى واحدة تخطوها في علاقاتك مع موسكو قد تسفر عن نتائج وخيمة العاقبة في إيطاليا..."^(٥٠)

لم يكن كتاب موسوليني إنذاراً لهتلر حول تردّي العلاقات الألمانية الإيطالية فحسب، بل أصاب هدفاً سهلاً في الصميم: ألا وهو شهر غسل الزعيم مع روسيا السوفيتية الذي بدأ الطرفان يضيقان به ذرعاً. ولقد جاءته منه مكاسب أخرى. والوثائق الألمانية المستولى عليها تكشف مثلاً عن واحد من أسرار الحرب التي كان يلفّها الكتمان الشديد ولم يعرف عنها شيء: فمن المساعدات السوفيتية التي نالها هتلر فتح المرافيء للسفن الألمانية في المحيط المنجمد الشمالي والبحر الأسود والمحيط الهاديء، أمكن ألمانيا من إستيراد المواد الأولية التي هي في أشد الحاجة إليها ولم تكن قادرة على الفوز بها نظراً للحصار الإنكليزي.

في ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ نزل مولوتوف الى حدّ الموافقة على دفع الحكومة السوفيتية اجور النقل عن كل البضائع التي تحملها خطوط السكك الحديد الروسية^(٥١). وأمن للسفن الألمانية التزود بالوقود والإصلاح والترميم وغير ذلك من التسهيلات حتى للغوّاصات في مرفأ المحيط الشمالي تريبركا Teriberka الواقع شرق مورمانسك - Murmansk - رأى مولوتوف أن هذا الميناء الأخير ليس معزولاً عزلاً كافياً" وإن (تريبركا) "هي أصلح لأنها أبعد ولا ترسو فيها السفن الاجنبية"^(٥٢).

وظلت موسكو وبرلين تفاوضان طوال خريف وأوائل شتاء ١٩٣٩ حول زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين. وبنهاية تشرين الأول زوّدت روسيا ألمانيا بكميات كبيرة من المواد الأولية ومن جملتها النفط والقمح على الأخص. إلاّ ان الألمان كانوا يطلبون المزيد. على أنهم صاروا يعلمون أن السوفييت

٥٠ - النص في المرجع السالف الص ٦٠٤-٦٠٩.

٥١ - المرجع السالف: الص ٣٩٤.

٥٢ - المرجع السالف: ص ٢١٣.

بارعون صلبون في التجارة أيضاً، كما هم بارعون صلبون في السياسة وفي الأول من تشرين الأول- على رواية فايسيك- قام كل من الفيلدمارشال غورنغ وأمير البحر الأكبر (رايدر) والكولونيل جنرال كايتل، "بصورة مستقلة ومن دون ان يدري احدهما بالآخر" بالاحتجاج لدى وزارة الخارجية بأن الروس يطلبون الكثير من المواد الحربية الألمانية. وبعدها بشهر واحد عاد كايتل يشكو الى (فايسيك) بأن طلبات الروس للمصنوعات الألمانية وبخاصة المكائن والآلات لإنتاج الذخائر الحربية "تزداد كما حتى فاقت حدّ المعقول" (٥٣).

لكن إن ارادت ألمانيا من روسيا قوتاً ونفطاً فعليها أن تدفع ثمنه بضائع تريدها موسكو وتحتاجها. وكان الرايخ المختنق بالحصار، يحتاج الى هذه الضروريات من روسيا الى حدّ يجعل عن الوصف، بحيث أن هتلر أمر في ٣٠ آذار ١٩٤٠ وفي أخرج الساعات "بأن تزويد الروس بالمواد الحربية يجب ان يحظى بالأولوية حتى على حاجة القوات المسلحة الألمانية" (٥٤). وقد أدى بهم الحال إلى أن سلموا روسيا الطراد الثقيل لوتسوف Luetzow قبل أن يكمل، كجزء من المستحق لموسكو. وقبلها في ١٥ تشرين الأول اقترح أمير البحر (رايدر) أن يبيع من الروس تصاميم ومخططات البارجة بسمارك، اضخم بارجة في العالم (٤٥٠٠٠ طن) وكانت في طور البناء، إن "دفعوا بها ثمناً عالياً" (٥٥).

في نهاية ١٩٣٩ صار ستالين يساهم شخصياً في المفاوضات مع الوفد التجاري الألماني في موسكو. ووجده الاقتصاديون الألمان تاجراً حاذقاً لايشق له غبار. وفي وثائق وزارة الخارجية المستولى عليها عشر على محاضر مفصلة مطوّلة عن ثلاثة اجتماعات هامة جداً بالدكتاتور السوفيتي العجيب الذي كان ملاماً بالتفاصيل بشكل أذهل الألمان. ولقد وجدوا أن ستالين من أولئك الأشخاص الذين لا يمكن غشهم أو خداعهم، ومن صنف كشيرى اللجاجة والطلب الى حدّ الفظاظة. كان في بعض الأحيان "يهتاج ويشور" كما كتب شنوره احد المفاوضين النازيين و"لايفتاً يذكر الألمان بأن الاتحاد السوفياتي" قدم خدمة عظيمة جداً لألمانيا [و] كسب عداوة بسبب مساعدته هذه". وهو يطلب مقابل ذلك تعويضاً من برلين. وفي أحد المؤتمرات التي عقدت في الكرملين مساء يوم رأس السنة ١٩٣٩- ١٩٤٠ "وصف ستالين الثمن الكلي للطائرات بأنه لن يكون موضوع بحث فهو يمثل اسعاراً مضاعفة للقيمة الحقيقية. وان كانت ألمانيا غير راغبة في تسليم الطائرات فلتقل ذلك بصراحة"، وفي اجتماع ٨ تشرين الثاني في منتصف الليل.

٥٣- المرجع السالف: ص ٤٩٠.

٥٤- اعلم غورنغ الجنرال توماس بعد فتح فرنسا والأراضي المنخفضة "ان الفوهرر يرغب في أن يظل تسليم المواد الى روسيا منتظماً حتى ربيع ١٩٤١ وبعدها لن يهتم بتلبية الطلبات الروسية" (مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج ٤، ص ١٠٨٢ - المرجع السالف ص ١٠٨٢ ووثائق نورمبرك ٢٣٥٣).

٥٥- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية: ج ٨، ص ٥٣٧.

"طلب ستالين من الألمان أن يقترحوا سعراً معقولاً وألاً يضعوا أسعاراً عالية كما حدث في السابق. ونوه على سبيل المثال بمجموع القيمة الكلية للطائرات البالغ (٣٠٠) مليون مارك ألماني. وتحديد الألمان للطراد الثقيل (لوتسوف) ثمناً بمبلغ (١٥٠) مليون مارك ألماني. وقال: على الألمان أن لا يستغلوا طيبة الاتحاد السوفيتي"^(٥٦).

في ١١ شباط ١٩٤٠ توصل الطرفان في موسكو الى عقد إتفاقية تجارية معقدة جداً - في موسكو تتعلق بتنظيم تبادل السلع خلال الثمانية عشر شهراً التالية بمبلغ لا يقل عن (٦٤٠) مليون مارك سنوياً. وسيحصل الروس خلافاً للطراد (لوتسوف) وتصاميم البارجة (بسمارك) على مدافع بحرية ثقيلة وغيرها من المهمات الحربية، وحوالي ثلاثين طائرة حربية ألمانية من آخر طراز بضمنها مقاتلات من نوع مسزشميت Messerschmitt (١٠٩) و(١١٠) ويونكرز-٨٨ وهي من القاذفات المنقضة. ويتسلم السوفييت إضافة الى هذا مختلف الآلات لصناعاتهم الكهربائية والنفطية، ومحركات وتوربينات ومولدات كهربائية ومكائن ديزل، وسفن والآلات ميكانيكية ونماذج من المدفعية الألمانية والدبابات والمتفجرات ومواد الحرب الكيميائية ومعداتها، الخ...^(٥٧)

إن ما حصل عليه الألمان خلال السنة الأولى قد سجلته القيادة العليا للقوات المسلحة: مليون طن من الشعير، نصف مليون طن من القمح، تسعمائة الف طن من النفط. مائة الف طن من القطن خمسمائة الف طن من الفوسفات. فضلاً عن مقادير كبيرة من أصناف كثيرة جداً من المواد الأولية التي لا يمكن الاستغناء عنها. مليون طن من (فول الصوبا) من منشوريا^(٥٨) بالترانزيت.

وفي برلين جلس دكتور شنوره الحبير الاقتصادي في وزارة الخارجية الألمانية ينظم بعد عودته قائمة طويلة ضمن مذكرة مسهبة بما استطاع الحصول عليه للرايخ. فألى جانب المواد الأولية التي هم في أمس الحاجة إليها قال أن ستالين وعده "بالمعونة السخية بقيامه بوظيفة" شاري المعادن والمواد الأولية من البلاد الثالثة".

وختم شنورة تقريره "إن الإتفاقية تعني باباً مفتوحاً على مصاريعه لنا الى الشرق... وسيقل تأثير الحصار البريطاني بصورة حاسمة"^(٥٩).

هذا سبب واحد من الأسباب التي دعت هتلر الى وضع كيرياته في جيبه ومساندة روسيا في هجومها على فنلندا الذي ساء الألمان وقبول تهديد الجيوش السوفيتية وتأسيس قواعد جوية في الدول الثلاث على البلطيق. (لم تستعمل إلا فيما بعد للإغارة على ألمانيا؟) كان ستالين يعنيه في التغلب على مصاعب الحصار البريطاني على أن أهم من هذا طراً أن ستالين اتاح له فرصة الحرب على جبهة

٥٦- المرجع السالف: الص ٥٩١ و٧٥٣ على التوالي.

٥٧- نص الإتفاقية التجارية المؤرخة ١١ شباط ١٩٤٠ وارقام الارساليات. المرجع السالف الص ٧٦٢-٦٧٤.

٥٨- (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج ٤، الص ١٠٨١-١٠٩٢ (وثائق نورمبرج ٢٣٥٣-PS)

٥٩- وثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج ٨، الص ٨١٤-٨١٧. (مذكرة شنورة - ٢٦ شباط ١٩٤٠).

واحدة وتركيز كلّ جيروته العسكريّ في الغرب استعداداً للضربة القاضية في نزاله مع بريطانيا وفرنسا، واجتياح هولندا وبلجيكا وبعد ذلك؟... سبق لهتلر أن أخبر جنرالاته ما ينتوي عمله. منذ ١٧ تشرين الأول ١٩٣٩، ولم يمرّ طويل زمن على نهاية معركة بولندا. كان هتلر قد حدّر (كايتل) بأن الحدود البولندية: "هي مهمة جداً بالنسبة الى الأسباب العسكرية. وبوصفها نقطة وثوبٍ متقدمة، ولأجل التركيز التعبويّ للجنود. ولهذا الغرض يجب الإبقاء على السكك الحديدية والطرق وخطوط المواصلات، وصيانتها"^(٦٠).

لما شارفت السنة ١٩٣٩ الخطيرة على الختام ادرك هتلر إنه لا يمكن الإعتماد على حياض السوفييت الى الأخير وقد أخبر جنرالاته بذلك في مذكرته المؤرخة ٩ تشرين الأول. قال إن الأمور قد تتغير في غضون ثمانية أشهر أو عام واحد. وفي خطبته على القادة بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني صرح يقول "بإمكاننا ان نخاصم روسيا عندما نتحرر في الغرب فحسب". وتلك الفكرة لم تزايل قطّ ذهنه القلق. وطوى التاريخ هذه السنة العصماء في جوّ غريب مشحون. فمع وجود الحرب العالمية، لم يكن ثمّ قتال بريّ. اما القاذفات الضخمة في الجوّ فلم تكن تحمل غير منشورات دعاية سيئة الكتابة والحق يقال. لم تكن ثمّ حرب فعلية إلاّ في البحر فقد استمرت الغواصات تصطاد فرائسها من السفن البريطانية والمحايذة احياناً في شمال الأطلنطي المتجمد القاسي.

في جنوب الأطلنطي خرجت (گراف شبي) إحدى ثلاث بوارج جيب ألمانية لتغرق خلال ثلاثة أشهر تسع بواخر شحن بريطانية بلغت حمولتها (٥٠٠٠٠) طنّ ثمّ وقبل أسبوعين من أول عيد ميلاد في الحرب (١٤ كانون الأول-١٩٣٩) تكهرب الرأي العام الألمانيّ بأنباء نصر عظيم في البحر، أذيع في الراديو وتناقلته صدور الصحف بعناوين بارزة. قيل ان (گراف شبي) قد اشتبكت مع ثلاثة طرادات إنكليزية قبلها بيومٍ واحدٍ على بعد أربعمئة ميل من (مونتفيدو Montevideo) وعطلتها عن العمل. لكن الفخر والحماسة سرعان ما انقلبا الى حيرة. فبعد هذه الانباء بثلاثة أيام أذيع ان بارجة الجيب قد انتحرت عند مصب (پلاتا) على مرأى من عاصمة الأركواي. اي نوع من النصر هذا؟ في ٢١ كانون الأول أذاعت قيادة الأسطول العليا أن قائد بارجة الجيب (گراف شبي) قد قضى على حياته، ولحق بسفينته، وهكذا "أنجز القبطان هانز لانگسدروف Hans Langsdorff ما توسم فيه الزعيم والشعب الألماني والأسطول كمقاتل وكبطل".

ولم يخبر الشعب الألمانيّ البائس أن (گراف شبي) قد عطبت عطباً كبيراً بنار الطرادات البريطانية الثلاثة التي فاقتها بقوة المدفعية^(٦١).

٦٠- مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج٣، ص٦٢٠. وثائق نورمبرگ: ٨٦٤-PS.

٦١- قبل اغراق البارجة بيوم واحد حمل گوبلز الصحافة الألمانية على تزوير رسالة من (مونتفيدو) مؤداها أن (گراف شبي) لم يلحقها إلاّ عطب بسيط "وان الانباء البريطانية عن اصابتها بأضرار بالغة انما هي محض "اكاذيب ومفتريات".

فاضطرت الى اللجوء الى (مونتفيديو) لإصلاح الأضرار وأن الحكومة أرغواي، تطبيقاً لقواعد القانون الدولي سمحت لها بالبقاء إثنين وسبعين ساعة فقط ولم تكن كافية ففضل "البطل" القبطان لانفسدورف اغراقها على المخاطرة بمعركة أخرى مع البريطانيين بسفينته المعطوبة وانه هو نفسه بدلاً من أن يغرق معها. أطلق الرصاص على نفسه في غرفة باحدى فنادق (بوينس ايرس) المنعزلة. ولم يخبر الشعب الألماني أيضاً (كما ذكر الجنرال يودل في يومية ١٨ كانون الأول) بأن الزعيم "سخط سخطاً شديداً على إغراق (گراف شبي) دوفا قتال" واستدعى أمير البحر (رايدر) وعنفه تعنيفاً قاسياً^(٦٢).

في ١٢ كانون الأول أصدر هتلر أمراً آخر سرياً للغاية بتأجيل الهجوم في الغرب مشيراً الى أن قراراً جديداً لن يصدر قبل ٢٧ كانون الأول وأن أقرب تاريخ "ليوم الصفر" سيكون (١) كانون الثاني ١٩٤٠. ولم يرَ مانعاً من منح اجازات عيد الميلاد لافراد الجيش وتشير مفكرتي الى أن عيد الميلاد وهو اهم اعياد السنة عند الألمان كان وقتذاك كئيباً في برلين. فلم يتبادل الناس إلا القليل من الهدايا، ولم يستمتع المحتفلون إلا بالكفاف من الطعام والرجال يعيدون عن الديار والشوارع معتمة والنوافذ مغلقة والأستار مسدلة وكل الناس متذمرون من الحرب والطعام والبرد. وتبودلت تهانيء العيد بين هتلر وستالين: " [أبرق هتلر] أطيب التمنيات لصحتك ولفراه الشعب السوفيتي الصديق، والتقدم في المستقبل".

فأجاب ستالين: "إن صداقة شعبي ألمانيا والاتحاد السوفيتي التي شد أواصرها الدمُ ستبقى رغم كل شيء ثابتة".

وفي برلين قضى السفير فون هاسل أيام العيد يتباحث مع زملائه المؤتمرين (پويتز وگويردلر والجنرال بيك) وفي ٣٠ كانون الأول دون في مذكراته آخر خطة لهم. وهي:

"محاولة ايقاف عددٍ من الفرق في برلين" أثناء نقلها من الغرب الى الشرق ثم يظهر فيتزلين في برلين ويحلّ حرس الصاعقة (S.S) وعلى أثر هذا الإجراء يذهب بيك الى (زوسن) ويتسلم القيادة العليا من براوختش. ويقوم طبيب بكتابة تقرير يبين عجز هتلر عن الإستمرار في تأئية وظائفه ويعتقل. ثم يذاع بلاغ على الشعب الألماني بالخطوط التاليسية: منع فطائع أخرى يقوم بها حرس الصاعقة. العودة الى الصراط المستقيم وإشاعة الاخلاق المسيحية. الإستمرار في الحرب مع الاستعداد لعقد سلم على أسس معقولة..."

كل هذا وهم في وهم، وكلام في كلام، لقد كان (المؤتمرون) في حالة من الإضطراب بحيث خصص (هاسل) جزءاً كبيراً من يوميته في: هل يبقى گورنگ أو يزيحه!

وگورنگ بذاته مع هتلر وهملر وگوبلز ولاي وغيرهم من زعماء النازي انتهزوا حلول رأس السنة

٦٢- رسالة (لانفسدورف) المؤثرة في [مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية: ١٩٣٩، ص٦٢، وثم مواد أخرى ألمانية حول المعركة وما تلاها الص ٥٩-٦٢.

لإصدار بيانات فخمة: فقال (لاي) "إن الزعيم على حق دائماً! أطيعوا الزعيم!" وصرح الزعيم نفسه أن "اليهود وتجار الحروب الرأسماليين هم الذين أثاروا الحرب لا هو، وأضاف: "إننا ندخل هذه السنة الحاسمة من تاريخ ألمانيا متحدنين داخل البلاد مستعدين اقتصادياً وعسكرياً مسلحين الى آخر درجة. ألا فلتأت السنة ١٩٤٠ بالقرار الحاسم وستكون سنة نصرنا مهما حصل".

وفي ٢٧ تشرين الأول، عاد مرة أخرى ليؤجل الهجوم في الغرب "أسبوعين على الأقل"، وفي ١٠ كانون الثاني أمر بتعيين يوم ١٧ كانون الثاني موعداً نهائياً "قبل بزوغ الشمس بخمس عشرة دقيقة - الساعة (٨) والدقيقة ١٦ صباحاً". وعلى القوة الجوية أن تبدأ القصف في ١٤ كانون الثاني، قبل الهجوم العام بثلاثة أيام، ومهمتها تدمير مطارات العدو في فرنسا، ولاتمس هولندا وبلجيكا بأذى "وستبقى الدولتان الصغيرتان المحايدتان بين شكّ و يقين في مصيرهما حتى اللحظة الأخيرة. ولكن إله الحرب النازي في ١٣ كانون الثاني. أجل الهجوم فجأة مرة أخرى "نظراً للأحوال الجوية" ويسكت ملف القيادة العليا الخاص بتأجيل الهجوم على الجبهة الغربية مدة طويلة حتى ٧ أيار. وربما كان الطقس أحد أسباب التأجيل الذي ١٣ كانون الثاني. إلا أننا نعرف الآن بأن حادثين كانا السبب الأصلي وهما هبوط إضطراري سيء الصدفة - لطائرة حربية ألمانية خاصة جداً في بلجيكا في ١٠ كانون الثاني، وسنوح فرصة جديدة في شمال أوروبا.

في العاشر من كانون الثاني (وهو اليوم الذي هتلر قد جعل يوم ١٧ منه موعداً للهجوم على هولندا وبلجيكا)، ضلّت طائرة حربية ألمانية طريقتها من (مونستر) الى (كولونيا) في الغيوم فوق بلجيكا واضطرت الى الهبوط قرب (ميشلون على نهر الموز Mechon sur Meuse) وكان فيها الرائد (هلموت راينبرغر Helmut Reinberger)، وهو ضابط ركن مهم في سلاح الجو الألماني. ووجد في حافظة أوراقه خطط الألمان الكاملة مع الخرائط الخاصة بالغزو في الغرب. وعندما اطبق عليه الجنود البلجيك اسرع يعدو الى بعض الأدغال واشعل النار في محتويات حقيبته. فانتهبه الجنود الى هذه الظاهرة الغريبة وأطفأوا النيران فيها واستخلصوا ما بقي منها. أخذ الضابط (راينبرغر) الى الموقع العسكري القريب فما كان منه إلا أن هجم بحركة يائسة على الأوراق المحترقة قليلاً التي كان الضابط البلجيكي قد وضعها على الطاولة وقذف بها الى الموقد، إلا ان الضابط البلجيكي اسرع باستنقاذها. وبادر (راينبرغر) الى الاتصال بمقر قيادة اللوفتوافه عن طريق السفارة الألمانية في بلجيكا وابلغهم أنه نجح في إحراق كل الأوراق "بحيث لم يبق منها إلا قصاصات تافهة بحجم كفه". لكن الفزع شمل كل المقامات العليا في برلين واسرع (يودل) حالاً بابلاغ هتلر "عما يمكن أن يكون العدو قد عرفه وما لم يعرفه" إلا أنه لم يكن يعرف هو نفسه. وكتب في مذكراته بتاريخ ١٢ كانون الثاني بعد مقابلته هتلر "لو باتت كل الأوراق في حيازة العدو. فالموقف فاجع" وفي مساء اليوم نفسه طير ريبنتروب الى السفارة الألمانية في بروكسل برقية سرية ومستعجلة جداً "طالباً تقريراً فوراً حول اتلاف محفظة الرسول" وفي صباح يوم ١٣ كانون الثاني كشفت يومية يودل عن إجتماع جرى بين

گورنگ والملحق الجوي الألماني في بروكسل الذي طار الى برلين فوراً. قال يودل "النتيجة: حافطة الأوراق احرقت على وجه التأكيد".

وفي اليوم نفسه (١٣ كانون الثاني) ابلى السفير الألماني، برلين بتحركات عسكرية بلجيكية واسعة "نتيجة أنباء مقلقة وصلت الى رئاسة الأركان البلجيكية. وفي اليوم الثاني ارسل السفير برقية أخرى (مستعجلة جداً) الى برلين: ان البلجيك أصدروا "أمر-د" وهو الخطوة قبل الأخيرة في النفير، وقد استدعوا للخدمة طيقتين. ويعتقد أن السبب متأت من "تقارير تنبيء بتحركات قوات ألمانية على الحدود البلجيكية والهولندية، فضلاً عن محتويات بريد الساعي المحترق جزئياً، التي وجدت لدى ضابط الجو الألماني".

وفي اليوم الخامس عشر من كانون الثاني، زادت الشكوك في رؤوس القادة الأعلى في برلين بأن (راينبرگر) لم يتلف الوثائق الخطيرة حقاً كما ادعى. وكتب يودل بعد مؤتمر آخر حول الموضوع "يقال انها احرقت". ولكن في ١٧ كانون الثاني إستدعى وزير الخارجية البلجيكي پول هنري سپاك Paul-Henri Spaak السفير الألماني ووجه اليه كلاماً صريحاً نقله هذا الى برلين حالياً:

ان الطائرة التي هبطت في ١٠ كانون الثاني هبوطاً إضطرابياً، وضعت في أيدي البلجيك وثيقة ذات طابع خطير فائق للعادة تتضمن دليلاً واضحاً على نيّة الهجوم. إنها ليست مجرد خطة قمرينية بل أمر بالهجوم فيه كل التفاصيل ولا ينقصه غير تحديد الوقت".

لم يكن الألمان متأكدين تماماً هل أن (سپاك) يخادعهم أم هو يقول الحقيقة. أعطى الجانب البريطاني والفرنسي نسخاً من الخطة الألمانية - وكان هناك ميل يسود أوساطهما أن الأوراق الألمانية لم تكن إلا "خديعة مقصودة" ويقول جرجل أنه عارض معارضة شديدة في هذا التفسير، ويتحسر لأنه لم تتخذ اية اجراءات حول هذا الإنذار الخطير. والأمر المؤكد هو أن هتلر اصدر أمره بتأجيل موعد الهجوم بعد يوم واحد من إبلاغه بالحادثة (١٣ كانون الثاني). وتبين فيما بعد، عندما تقرّر الهجوم في أيار أن كل الخطط الاستراتيجية طراً عليها تغيير جوهرى^(٦٣).

إلا أن الهبوط الإضطرابي في بلجيكا، وسوء الطقس لم يكونا السببين الوخيديين لإرجاء الهجوم، ففي ذلك الوقت كانت الخطط في برلين تنضح في سبيل غزوة جريئة ألمانية لدولتين صغيرتين محادتين في شمال القارة، تحتل الأسبقية الآن. إن الحرب الكاذبة بقدر ما يتعلق الأمر بالألمان تكاد الآن تقترب من نهايتها بقدم الربيع.

٦٣- استخدمت بعض المصادر الألمانية الاصلية حول هذه الوقائع الخاصة بالهبوط الاضطرابي: منها تقارير السفير البلجيكي والملحق الجوي في بروكسل الى برلين. ووثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج٨، ويوميات يودل. نص الخطة الألمانية للهجوم في الغرب كما أستخلصت في بلجيكا. وردت في مجلد ٨، الص ٤٢٣-٤٢٨ من (مؤامرة النازيين...) ووثائق نورمبرگ ٥٨-٧٠. TC. واوردكارل بارتز Karl Barts الحادثة في كتابه Als des Himmel Viramte تعليق جرجل في (تجمع العاصفة).